

## المتن

**3-القسم الثالث:** يقولون: إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض مع ثبوت علوه فوق عرشه. ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية "ص/229 ج/5- من مجموع الفتاوي" عن بعض الطوائف.

## الشرح

شوف الآن مذهب هؤلاء يختلف عن مذهب الذين قبلهم وعن مذهب السلف يقولون: إنَّ الله بذاته في الأرض وبذاته فوق السماء. "بذاته فوق السماء" يوافقون أهل السنة والجماعة ويخالفون الجهمية حلولية الجهمية لأنهم يقولون الله ليس بذاته فوق السماء.

"بذاته في الأرض" يوافقون الجهمية ويخالفون السلف لأن السلف لا يقولون إنه بذاته في الأرض. فلا تظن أن هذا المذهب هو مذهب السلف ولا مذهب هؤلاء الجهمية والفرق بينهم كما عرفت: الجهمية يقولون إن الله بذاته في الأرض ولا يقولون إنه في السماء لأنهم ينكرون العلو. هؤلاء يقولون: إن الله بذاته في الأرض كما قال الجهمية ولكن هو بذاته في السماء خلافاً للجهمية طيب يقولون إن الله بذاته في السماء فيوافقون أهل السنة ويقولون إنه بذاته في الأرض فيخالفون أهل السنة. فهؤلاء أخذوا من هؤلاء وهؤلاء وزعموا أنهم هم الذين معهم ظاهر الكتاب والسنة.

## المتن

وقد زعم هؤلاء أنهم أخذوا بظاهر النصوص في المعية والعلو وكذبوا في ذلك فضلوا. فإن نصوص المعية لا تقتضي ما ادعوه من الحلول لأنه باطل ولا يمكن أن يكون ظاهر كلام الله ورسوله باطلاً.

## الشرح

واضح ؟ لأن كون الله معنا في الأرض هذا باطلٌ ما فيه شك ولا يمكن أن يكون الله كذلك لأن هذه كما مر علينا كثيراً مُخالِفٌ لظاهر القرآن والسنة وإجماع السلف و يقتضي أحد أمرين إما التجزئة وإما التعدد.

1-التجزئة: بأن يُقال الله جزؤه هنا وجزؤه هنا وجزؤه هناك.

2-والا التعدد: إذا قلت كلُّ الله في هذا المكان وكل الله في المكان الثاني وكل الله في المكان الثالث معنى هذا أنه يلزم التعدد.

فالقائلُ بهذا يلزمه أحدُ أمرين ولا بد إما أن يقول بتجزؤ الله سبحانه وتعالى- وإما أن يقول بتعدد الله وكلُّ هذا باطلٌ فدعواهم بأنهم أخذوا بظاهر الكتاب والسنة تقول هذه دعوى باطلة تدرون لماذا قالوا "أخذنا بالظاهر؟ قالوا: "وهو معكم" هو مَنْ؟

الله "معكم" أجزها على ظاهرها في الأرض يكون في الأرض.

"استوى على العرش" مين اللى استوى؟ الله . إذن أجزها على ظاهرها يكون الله في العلو فيكون في السماء ويكون الله معنا في الأرض.

عرفتم أهل السنة والجماعة يقولون: هذا ليس بصوابٍ لأنه لا يلزم من المعية أن يكون في الأرض إذ أن الشيء يكون عاليًا ويقالُ في اللغة العربية إنه معنا. العرب يقولون: إن القمرَ معنا أو الثريا معنا وهي في السماء أو الجدي معنا أو السيل معنا ولا يُعدُّ ذلك تناقضًا ولا أحد يُنكر هذا التعبير. فنقول إن الله معنا وإن كان في السماء ولا نقول إنه يلزم أن يكون معنا في الأرض.

والمعية تأتي أيضًا لمعانٍ متعددة بحسب الإضافات. يُقال مثلًا: فلان معه زوجته يعني في عصمته حتى ولو كان هو في الشرق وهي في الغرب؛ أليس كذلك؟ وي قالُ القائدُ مع الجند في الميدان إذا كان محيطًا بهم ويدري عن تصرفاتهم وإن كان في غرفة القيادة بعيدًا عن الميدان. فالمعية معناها أوسع مما ظن هؤلاء أنه لا بد أن يكون مختلطًا في المكان. وهذا معنى باطلٌ لأحدٍ يعتقدُه في الله أبدًا.

### المتن

**\*تنبيه:** اعلم أن تفسير السلف لمعية الله تعالى لخلقه بأنه معهم بعلمه لا يقتضي الاقتصار على العلم بل المعية تقتضي أيضًا إحاطته بهم سمعًا وبصرًا وقدرةً وتديرًا ونحو ذلك من معاني ربوبيته.

**\*تنبيه آخر:** أشرتُ فيما سبق إلى أن علو الله تعالى ثابتٌ بالكتاب والسنة والعقل والفترة والإجماع.

\* أما الكتاب: فقد تنوعت دلالته على ذلك فتارة بلفظ العلو والفوقية والاستواء على العرش وكونه في السماء كقوله تعالى "وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ" [البقرة: 255], "وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ

عِبَادِهِ" [الأنعام:61] , " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى " [طه:5] , " أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ " [المالك:16].

### الشرح

أظن لاجابة إلى إعادة شرح قوله " أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ " والوهم الذي قد يرد على القلب في هذه الآية؟ أن يتوهم الإنسان كونه في السماء يستلزم أن السماء ثقله أو أنها أوسع منه، محيطة به. هذا ليس بصواب هذا وهم باطل وذكرنا أن العلماء أجابوا على هذا الوهم فقالوا:

إما أن: نجعل " في " بمعنى " على " كما جاءت في مواضع مثل قوله: " قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ " أي على الأرض " وَأَصْلَيْتُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ " أي على جذوع النخل. " أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ " أي مَنْ عَلَى السَّمَاءِ.

**وجه آخر:** يجعلون السماء بمعنى " العلو " ويجعلون " في " للظرفية؛ فيقولون " فِي السَّمَاءِ " أي في العلو.

نطالب هؤلاء وتقول إيتوا بدليل على أن " السماء " تأتي بمعنى العلو؟ حتى تقبل تأويلكم يأتون بدليل يقول الله تعالى " أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً " والسماء هنا بمعنى العلو بدليل قوله تعالى " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ

**يَعْلُونَ** [البقرة:164] والماء ينزل من السحاب ومع هذا قال بين السماء والأرض فدل ذلك على أن السماء تأتي بمعنى العلو فيكون معنى قوله **"فِي السَّمَاءِ"** أي في العلو.

فالله تعالى في العلو الأعلى لا يُحيطُ به شيءٌ من مخلوقاته لأن ما فوق المخلوقات عدمٌ والعدم ليس بشيءٍ حتى يكون محيطًا بالله. ولهذا نقول: في السماء أي في العلو؛ ويزول الإشكال الذي يتوهمه الإنسان. فإن قلت كيف تجمع بين هذا وبين قوله تعالى **"وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ"** [الزخرف:84] وقوله **"وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَجَهْرَهُمْ"** [الأنعام:3] أفلا تدل الآيتان على أن الله كائنٌ في السموات وفي الأرض جميعًا؟

\*الجواب عن ذلك أن نقول **"وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ"** أي أن ألوهيته في السماء والأرض ؛ يعني مألوه من أهل السماء ومن أهل الأرض.

ونظير ذلك من الكلام أن تقول فلانٌ أميرٌ في المدينة وأميرٌ في مكة مع أنه في مكة مثلاً ساكنٌ في مكة أو في المدينة وليس ساكنًا فيها جميعًا. إذن **"وهو الذي في السماء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ"** يعني ألوهيته ثابتة في السماء وفي الأرض أما هو ذاته فهو في السماء. وكذلك نقول **"وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ"** أي وهو المألوه في السموات و في الأرض بمعنى مألوه في السموات قف ثم استأنف وقال **"وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَجَهْرَهُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ"** يعني ويعلم سرهم و جهرم في الأرض.

وعلى كل حال فلدينا بارك الله فيكم **"هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ**

عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ" [آل عمران: 7]. وَيُذْذُونَ المتشابهة إلى المحكم فيقول هذه الآيات المتشابهات أنزلها الله- سبحانه وتعالى- هكذا متشابهة ابتلاءً وامتحاناً لأن الذي فيقلبه زيغ يتبع المتشابهة ليُشكك الناس في دينهم والمؤمنون لا يتبعون المتشابهة يقولون: كُلٌّ من عند الله ولا تناقض فيه ويحملون المتشابهة على المحكم فيكون الجميع محكماً.

الآن تنوعت الأدلة بالنسبة للعلو: العلو، الفوقية، الاستواء على العرش كونه في السماء أربعة أنواع. "وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ" [الأنعام: 3].

الجواب كما أشرنا قلنا: وهو الله في السموات أي وهو المألوه في السموات وفي الأرض أو وجه آخر أن تقول "وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ" ونقف تقول الله في السموات يعني عليها "وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ" في الأرض متعلقة "يعلم" يعني يعلم سركم و جهركم في الأرض.